ياسمين فى منعطف الطريق

obeikan.com

ياسمين فى منعطف الطريق
رواية
محمد جاب الله
الإسكندرية : حسناء للنشر
الطبعة الأولى : 2017
ISBN 978 -977-6535-81-7
رقم الإيداع : 22187 / 2017
ديوى : 813
112 ص ، 20 سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع
(+2)01018831361
(+2)03/ 5765777
المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عمرو العزالي
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

obeikan.com

ياسمين فى منعطف الطريق

رواية

محمد جاب اللّه

حسناء للنشر

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

أهدي هذا العمل إلى أمّي وأبي..

الذان أظلان بظلال الحنان والمساندة وإن تباعدت المسافات، ولم يبخلا عليا يوما بكل ما أحتاجه.

لقد وفرا لي أسباب النهوض في بيئة يتمّ فيها الشعور السلبي وعدم الرضا عن الواقع.

obeikan.com

ياسمين

في يوم من الأيّام التقيت في مقهى المدينة بفتاة تبلغ الثانية والعشرين من عمرها ، تعيش في قصر- في إحدى المناطق الجبلية الباهرة في الجنوب الفرنسي. تسمّيها جدّتها ياسمين .

اسمها يوحي لي من أول وهلة باللطف والحنان الذي يتجلّى في شخصيتها المبدعة. عطرها قد فاقت رائحته كلّ الورود.

تعشق القراءة والتأمل العميق في الأشياء، لديها رومانسيّة رائعة حيث يتمنّى الجالس معها أن تستمر في حكايتها إلى ما لا نهاية.

obeikan.com

فتاة تخوض غمار الحياة كغيرها لكنها بنظرة مختلفة وبعيدة المدى، كالصقر الذي يطير في السماء ويرى فريسته على بعد أميال. قوّة شخصيتها المتوازنة في نظرتها للعالم من حولها أبهرني كثيراً. عندما تتكلّم تضع الكلام في موضعه ورسالتها توجهها بكلّ دقّة لمن هو أمامها، اليوم الذي التقينا فيه يوم متميز لا أعرف هل هو شتاء أو صيف...

يجمع الفصول الأربعة مع بعضها البعض. حيث كنت في ذلك الوقت وحيداً منعزلا عن العالم، يغلب عليّ طبع الانزواء بعيداً عن الأنظار. لقد أحسست من أوّل نظرة أنّها تستمتع بعزلتها وهي تتصفح كتابا تبيّن لي فيما بعد أنّه رواية رومانسية.

أحسست وكأنّ شيئا يجمعنا، فاستجمعت قوّتي وقررت الاقتراب أكثر فأكثر . فقد استمتعت بالنظر إليها كأني أنظر لفتاة عشقتها قبل الأوان أو فتاة أحببتها من قبل. لم أكن أريد

obeikan.com

أن أخسر الموقف المناسب، فالتردّد يكون غالبا سيّد الموقف، فلعلّ يوماً ما لا تسنح لي فرصة كهذه، لنجمع أنفسنا ونطلق شرارة القصّة الغراميّة.

هذا اللقاء جاء في وقت مناسب يعطي بريقاً من الأمل في الواقع اليومي الذي نعيشه والذي تملؤه التعقيدات حيث جعل من علاقتنا بأنفسنا وبالآخرين جحيماً لا يطاق.

إنّها بداية لحياة جديدة تحمل في طياتها الكثير من المعاني الجميلة التي نسعى دائما للوصول إليها. إنّها فتاة تبهر الناظر من أوّل مرَّة ويستبشر كلُّ من يراها في داخله كأنَّه يرى القمر يقترب منه. لقد جمعت ياسمين بين النمط التقليدي والنمط الحديث. هذا ما جعلها تأسرني وكأنها تربط قلبي بحبل وتسحبه حتّى لو ابتعد قليلا فإنه يبقى دائماً قريب. ليس من عاداتها الاستيقاظ مبّكرا إلاّ عند الضرورة. فهي من النوع الذي يرى أنّه من الإجحاف أن نرهق أنفسنا من غير سبب.

حياتها تجمع بين محبَّة الكتب والحرص على استعمال التكنولوجيا بأنواعها. إنها تشبهني كثيراً لأنها اختارت نفسها ولم تختر الآخرين. كنت أشعر أنّي وحيد في هذا العالم رغم الأصوات الكثيرة من حولي، إلاّ أنّي أخيرا وجدت الملاذ الذي يجب أن اهرب إليه. لم أشأ أن أخوض الكفاح في الحياة من غير سند. فالحياة غالباً تأخذ مجرى معاكس لما نتطلع إليه. تقف عادة في شرفتها تتأمّل قريتها الصغيرة والعدد المتواضع للمارين هنا وهناك.

تزاول بصفة دائمة مكتبها في شقتها المطلّة على القرية ذات المنظر الخلاّب حيث تمتزج روعة الطبيعة مع الإبداع البشري.

تبقى إلى فترة الغروب تفكّر بعمق وتطرح أسئلة لا يطرحها الناس عادةً حيث تكتب ما يجول في خاطرها في مفكرتها التي لا تفارقها. لقد غيّرت مكاني نظراً لأشعّة الشمس القويّة وحتّى أتمكّن من الاقتراب والمبادرة بالحديث. فرغم الحاجز

obeikan.com

الذي يمنعني نفسيّا إلاّ أنّي تغلّبت عليه لأنّني أحسست أنّها تنتظر أن أبادرها بالحديث وهي تنظر إليّ من خلف نظارتها الشمسيّة. في تلك اللحظة أضحى عقلها يتجوّل في متاهات الفلسفة كما هو الحال بالنسبة لي.

فجأة حرّك أحدهم الطاولة ، فشعرت برهبة المثقّف، فكأنّ أحدهم صفعني في وجهي. حتّى الأصوات الخفيفة، أصبحت اليوم مزعجة بالنسبة لي. فالعالم ينقسم إلى عالمين : عالم داخلي نفسي متشكّل في ذاتنا، وعالم آخر خارجيّ تتجلّى ملامحه في العلاقات الاجتماعية، الأماكن التي نمرّ بها والأحداث التي تدور مباشرة أمامنا، سواء كنّا فاعلين فيها أم نشاهدها من بعيد. أوّل شيء يأتي في خاطري في طقس من المحتّم أن يكون فرصة للتأمّل العميق هو ماهية الكلام الذي يصدر منّا ويصدر هنا وهناك من أفراد مختلفين. يجول في الخاطر تساؤل رهيب : هل كلّ هذه الضوضاء مبرّرة ؟

وهل يستفيد الإنسان من كثرة الأصوات أم من الهدوء ؟

لا أقول هذا من مبدأ النّقد لصفة منحوتة فينا كبشر، بل إنّي أقول هذا حتّى نستفيد من وجودنا ليكتمل معنى الطريق المثالي الذي نريد السير فيه.

هناك قاسم مشترك بيني وبين ياسمين، ألا وهو الرغبة الدائمة في الهروب من العالم الخارجيّ إلى العالم الداخلي.

إنّ المقهى الذي نرتاده أحياناً، هو صورة العالم المصغّر، الذي تسود فيه الفوضى بأشكال مختلفة. إنّ الناس يأكلون يوميّا لحوم بعضهم البعض، وفي نفس الوقت يلومون الحيوانات المفترسة. إنّ الناجح يمثّل دائما محور للحديث بنجاحاته.

لكن لا ننسى أنّ سلبيّاته ومحاولة التقليل منه تنال أيضا نصيبا في الحديث المزدوج بين العوام. إنّ الطاولة التي أراها أمامي تشبه المسرح الذي يقرّر فيه يوميّا العالم شيطنة أمّة أو غزو

دولـة ! ونفس تلك الطاولة في جهة أخـرى مـن هـذا العـالم المترامي الأطراف، نجـد الخـبراء يبشرـون بوسـائل جديـدة، لمزيد تعميق الفجوة بين الإنسان وإنسانيته.

في لحظة التأمّل الغريب الذي ينتابني في الكثير من الأحيان.

رأيت أحداً يدخل للمقهى حاملاً محفظة كبيرة ويمتـاز بأناقـة تجعل الكلّ يحيّيه. اعتقـدت للوهلـة الأولى أنّـه طبيـب سـاقه التواضع للجلوس مع البسـطاء. لكـن تبـيّن لي فـيما بعـد أنّـه صاحب مشروع مربح ومثمـر ! يسـاهم في تشـغيل الشـباب العاطل. يصطنع الكثير من الناس الابتسامة في سبيل التقرّب منه. أيُّ مشروع يا ترى ؟!

قالت لي ياسمين فجأة : ما الذي يثيرك ؟ هذا أمـر طبيعـيّ في مكان مثل هذا.

لقد تشبثت بالتركيز على هذا الشخص فرأيته يبيع منتوجا يشبه السكّر الذي نستهلكه يوميّا في قهوة الصباح حتّى نتجنّب المرارة. لقد سمعته يقول : إنّ هذا الشيء يعمل بنفس المفعول الذي تقوم به التكنولوجيا، ألا وهو محاولة الفرار من الروتين القاتل ورؤية العالم بصورة أجمل !

لقد كان هذا الأمر رهيباً بالنسبة لي، ولم يكن أمراً سهلٌ تقبّله. فعندما يصبح الحصول على النشوة أمر يفوق كلّ شيء، يصبح حينئذ لا فرق عندي بين الإنسان والحيوان.

لقد أصبحت التغيّرات المفاجئة لكلّ شيء في هذا العالم تثير الفزع وهو ما ينذر بتنوّع الأحداث ودخول الإنسان في صراعات كثيرة . الأمر الذي يجعلنا ندقّق في كلّ ما نراه ونفسّر كلّ حركة تحكم حياتنا المتناقضة.

❊ ❊ ❊

الحبّ في زمن التكنولوجيا!

أخذت تقلّب هاتفها بطريقة جنونيّة وكأنّها عجوز في آخر العمر تتفحص الطقس، هل سيكون قاسيا على آلام المفاصل أم ممتع لترى النور مشرقاً! لقد نسيت ! نحن في عصر " آخر ما صدر " و " حصريّا " ، " عندنا ما ليس عند غيرنا "... لقد نظرت إليَّ نظرة حادّة وفي نفس الوقت تعبّر عن عدم الرضا. لقد أضحت وسائل الاتصال الحديث مأزقا أمام الحبّ العفويّ .

obeikan.com

أريد أن أبادر بالحديث. لكن يتكلّم الهاتف ذو الشاشة الكبيرة ليقول :"جاءت رسالة"، "الرجاء فتح الرسالة" ، "الرسالة رقم مائة وخمسون" .. الأمر ليس صادما بالنسبة لها. بل هو أمر إعتياديّ للغاية.

لكن بالنسبة لي هو مأزق حضاريّ يستوجب العلاج المتأنّي المرتبط بفترة زمنيّة بطريقة مجدولة. لا أعرف إن كنت قد أحصيت عدد الرسائل أم لا ! لكنّ رنين الإشعارات يضرب بقوّة في أذني ، ويرن في رأسي كصوت جرس المدارس عندما كنا ننفر منها في الصغر.

"ياسمين أتريدين كأسا من الشاي ؟" .. لقد خشيت أن تقول نعم؛ فيفتح الشاي شهيّتها لمزيد من الدخول في العالم الإفتراضي !

" أتريدين أن أشتري لك هاتفاً جديداً ؟"

التفتت إليّ بحماس لم أره من قبل وقالت حقّا !

لم أعرف الأن هل عشقتي الـذات التـي أمامـك أم صـفحتها الإفتراضيّة!

دخلت تستحمّ، لعـلّ ذلـك يخفّـف مـن موجـات الكهربـاء القاتلة. قررت أخيراً أن نذهب في جولـة إلى المدينـة. تعثـرت فجأة وكادت أن تسقط لو لم أمسكها. تبادر إلى ذهني سـؤال : " هل نحن أفضل من العميان تقودهم عصيهم إلا أنهم أبصر منّا؟!"

رأيت الناس وكـأنّي أراهـم لأول مـرة، شـعور غريـب مـليء بالحيرة تارة والشـكّ تـارة أخـرى. لقـد أمسـكت بيـدي كـما يمسـك الـزوج زوجتـه أوّل يـوم والتصـقت ترتجـف، فقـد لاحظت أنّها ترى أناسا وكأنهم أشباح، يا ترى أتغيّر الواقع أم تغيّرت نظرتنا إليه ؟!

هل صرنا نرى من نافذة أخرى غير التي كنّا نرى منها !

أرجـوا أن نشـعر بلوعـة الإحسـاس المتشـابك كلوحـة فنيّـة اختلطت فيها الألوان القاتمة بالبـاردة ! لا يجـب أن نسـتغرب فنحن في عصر تحوّل الحبّ فيه إلى حركة قبل أن يكون شعورا عفويّا، وصدفةً قبل أن يكون اختياراً !

لم أشاهد مثل ذلك اليـوم رعبـاً، فالنـاس تجـري هنـا وهنـاك طمعاً في كسـب المـال ،حتّـى أننـا إصـطدمنا بطـوابير القـمار الرابضة في قلب المدينة، فالمكان يعجّ بالضوضـاء، الانفـلات الأخلاقي والانحراف السلوكي من جميع النواحي. أكلّ هـذا بسبب الجشع واللهفة على المال.

كأنّ المال هنا أصبح مقياس الصراع بين البشر! لكننّي تيقّنـت بأنّ المعضلة واقعة فعلاً. إنّهم يسيرون عكس مجـرى الطبيعـة، وجوههم مصفرّة كأنّهم يحملون قضايا العالم على عاتقهم.

اقتربت ياسمين وكأنّها تريد أن تقول شيئا بصوت عالٍ لكنّها همهمت للحظة ثمّ نزلت دمعة الحقيقة لا دمعة تصنعها شبكات الإنترنت! لقد صدمني هذا الموقف وجعلني أقف بذهول قائلاً : أما حان للضمير أن يصحو، وأما حان للكتاب أن يحمل فوق الظهر لا أن يداس تحت الأرجل.

أدركت ياسمين ابنة المثقف هذا المعنى كثيرا ثمّ أدركت أنّ الحبّ هو العالم المضيء الذي يجب أن يدخله الناس من بابه الأوسع. فبغير معنى الحبّ والرفق بالآخر لا يتجرّأ الإنسان على نقد حياته التي عبثت بها الوسائل الحديثة.

قلبت الصفحة فجأة، فرأيتها تتحسّس هاتفها فقلت في استغراب بنبرة غاضبة :

" ألم تشفع طوابير الموت البطيء الواقفة هنا وهناك ...!"

رغم ذلك فقلبها المليء بحبّ المسكين العاشق مثلي، استطاع التغلّب على ما تفرضه الحياة من حيثيات تعمّق الفجوة بين العشّاق. هذا الشعور بالثقة فيها يمنحني السعادة التي يجدر بها أن تعمّ عقلي وقلبي. بل يمنحني رؤية العالم من نافذة نقيّة لا نافذة مليئة بالأحقاد والأحكام المسبقة. فالحرب حرب الضمائر في عصرنا، ومن يكسب القلب اليوم قد يكسب الماء والغاز غداً.!

أرسل رسالة إلكترونية لها، ولا أكاد أجد الردّ إلاّ بعد يومين .لهذه الدرجة أصبح الجفاء يسود سلوكنا! أم أنّ الروتين القاتل يجعل منّا أناس يتقنون التجاهل المتعمّد، ونجعله مبدأ في الحياة في علاقتنا بالآخرين بصفة عامّة، والمحبوبين بصفة خاصّة.. يتبادر إلى ذهني الآن ضرورة العودة للحبّ في إطاره الزمني القديم حيث كان يعتبر الخبز اليومي للشعراء والأدباء.

obeikan.com

هذه الأهمية التي نالها كأكثر شيء يمكن الكتابة عنه في ذلك الوقت، لا ينمّ إلا عن قيمته الكبرى من الناحية الحضاريّة والنفسيّة لدى الرجال والنساء على حدّ سواء. فمفهوم الحبّ يمكن أن يختلف حسب الطبيعة الجغرافية التي يعيش فيها الفرد. فحبّ وسط الصحراء والجمال والنار ليس هو نفسه الحبّ المحيط بالمشاعر الافتراضيّة والعبوديّة المعصرنة، رغم الاستفادة من التطوّر في تجسيد الحبّ وتعظيم صورته .

ياسمين صادقة لكنَّ الصدق يغيب عندما تمتلئ الأحاسيس بالرغبة في الهروب من الواقع إلى السجن الذي نصنعه يوميا بأيدينا ألا وهو سجن القلوب المزيّفة والوجوه الكثيرة !

حتّى العتاب كان جميلا بغير جرح ولا كسر للقلب عندما كان يمتزج بجمال الشعر والأسلوب الراقي والثقافي في التعبير. كما أنّ الحشمة لعبت دورا كبيرا في تسييج ذلك الحبّ وإضفاء

obeikan.com

الغموض الجميل الـذي يتبـادر للوهلـة الأولى عنـد الطـرف الآخر. لعلّ هذا يميّز الفتاة العربيّة عن غيرها .

لكـن ياسـمين مثّلـت كـلّ العـالم في عقـلي وقلبـي، في جـرأة الأوروبيات، النظرة الحادة للفتاة الآسـيويّة، مـرورا بإفريقيـا السمراء حيث تتجلّى المرأة الكادحة، ثمّ المرأة العربيّة التـي في نظري كرّمتهـا الرسـالة السـماوية، وغـيرة الرجـال الأقويـاء ،بتحقيق النقلة النوعيّة من المرأة المشيئة إلى الفاعلة في تأسـيس المستقبل.

فعديدةٌ المرّات عندما تجلس تحدّثني ياسمين عن أنّها من أصل كذا ويوم آخر من أصل كذا وعرق كذا إلخ .. حتّى تيقنت أنّ مواقع التواصل الاجتماعي تلعب بعقـول النـاس لعبـة القـط والفأر، دون مراعاة لعواطف روّادها. صمتت قليلاً من هـذا

الموقف الغريب ثمّ نزلت برأسي قليلا وقلت لها برفق : أنت العالم كلّه ،لست بحاجة للبحث كثيراً !...

بالنسبة لي المنظور الذي يمكن أن أعتمد عليه هو منظور القيم وسعة أفكار الشخص لا أشياء لم يخترها كاللون والنسب والعرق إلخ...

فجأة جاءتها صفعة إلكترونيّة تكاد تخرج من الشاشة التي أمامها. فقلت في نفسي ماهذا الهراء؟ فقالت لي : لا تهتمّ كثيرا بالتفاصيل ، فالتفاصيل مملّة " فبدلاً من أن نشتم بعض، نصفع بعضنا البعض عن بعد حتّى ترتاح قلوبنا !.

كلّما تزايد التقارب التكنولوجي زاد الحقد على النفوس وازدراء الآخر، فعندما تقول لك فتاة يهمني نفسك قبل مالك وقلبك قبل جسدك، يجب حينئذ أن تقوم بعرضها على جهاز كشف الكذب!

لقد جاءت صديقة ياسمين فسلمت عليها المرة الأولى وهي تتحدث في الهاتف ثمّ سلمت عليها المرة الثانية، الثالثة ، ثمّ الرابعة ،... ما أصعب الغربة التي أصبحنا نعيش فيها. فالوحدة في زمن الماضي وفي مفهومها الطّبيعي تعني الانعزال والبقاء وحيداً بعيداً عن الناس.

بينما الوحدة اليوم تشعرني بالمرارة لأننا نشعر بها وسط الناس وبجانب الأحبّة.

ألهذه الدرجة أصبح وعي الإنسان مقتصراً على ارتدائه ساعة أنيقة، واقتناء هاتف من آخر طراز!. رغم أنّي أؤمن إيماناً قاطعاً بأنّ الأناقة اختيار راقٍ في الحياة، وليس له علاقة لا بغرور ولا استعلاء على المحتاج، إلاّ أنّه لا يجب الانسياق وراء من يريد أن يجعل الإنسان ظاهراً بغير باطن، خالٍ من الاستقلالية والإرادة.

جلسنا نحتسي القهوة المسائية بسكون في مقهى شعبي بسيط يفترض أن تكون فيه القهوة ذات طعم مميّز. إلاّ أنني تفاجأت بالرشفة الأولى. كانت شيئا غريبا ليس له طعم ولارائحة.

لعلّ هذا بسبب احتساء القهوة أمام الحاسوب في العادة ،مع دوام ذلك أصبحنا لا نشعر بنفس الشيء كما هو الحال أيضاً عندما أحتسي وأكتب بروحٍ عالية . ما الذي تكتبه ؟ بماذا تشعر الآن ؟

أسئلة تسألني إيّاها ياسمين لكنّ الإجابة كانت التفكير العميق والصمت المتواصل. كأنّها تغوص وتعلم ما في أعماقي . لكنّني في داخلي مسرور، فأسئلتها المفاجئة تجعلني أنفّس عن ذاتي الكتومة. رغم عدم التلميح بذلك إلاّ أنّ الإهتمام دواء للقلب وثقة في النفس. هذا ما يحتاجه المحبّ

والمحبوب. هذا الدرس الذي يجب أن نتعلّمه من الحبّ مهما تنوّعت أشكاله.

السعادة ليست في اتباع الآخرين وإنما في ما تريد أن تفعله.

إنّ أكبر إهانة في هذا الزمان أن تبعدنا شركات الاتصال عن أحبائنا رغم مجانية الخدمات. وليس غريبا أيضا أن تدفع من أجل أن يبتعد الحبيب عنك ! نعم ليس غريباً بالنسبة لهم ،لا تقلق كثيرا فأنت تقدم قلبك على طبق من ذهب دون أن تشعر بشيء. بل إن حواسك تصبح مُعدلة على الساعة البيولوجية لا الساعة الطبيعية!

مررت بامرأة جالسة تتحدث مع إبنتها تقول لها : إنّ فارس الأحلام لن يأتي راكباً جواداً أصيلاً، بل سيأتي على قدميه إن كان لديه أقدام !

لقد رأته في المنام ينزع سيفه ويرميه جانباً، يرتدى نظارة تحمي من أشعة الشمس الحارقة، أخرج هاتفه فكتب تغريدة هلّل لها الآلاف من المتابعين : اليوم سنغزو الفضاء ! ترقبوا آخر إنتاجي من الفن الراقي !

ذهبنا سويّا كعادتنا لحفل موسميّ غنائي يضمّ المعزوفات الشرقية الرائعة ، يحاصر الحبّ صديقنا حتّى ضاقت به الدنيا وأصبح يشتكي من الحبّ للحبّ .

اشتكت صديقته من كلً هذا. لقد حثتها صرخة الفنان للنهوض من الكرسي وصاحت :" أحبّك يا صلاح الدين " . رأيت صديقها الذي بجانبنا يضحك غير مبالي منغمشا في أعماله الشاقة على جهازه اللوحي ذو الشاشة الكبيرة وصوت الرنات قد فاق صوت الموسيقى. فصاح مكملاً الجملة : ... بطل القدس وصانع الأمجاد ..!

لقد ساء فهمهم لبعضهم حتّى تحرّف السياق تدريجياً. فلم يعد أحد يفهم الآخر. لقد استغربت كثيراً أنا وحبيبة العمر ولكن نظرنا إلى بعض نظرة توحي بأننا فهمنا القصد من هذا. فلو عرف صديقنا قيمة ما تعنيه الكلمة التي لفظتها صديقته لصاح حتى فقد وعيه من هول الموقف. فالتصريح بالحبّ لا يوزّع بالمجان بل نابع من القلب الذي فطر على محبّة شخص.

وهذا شيء ليس للصدفة محلٌّ فيه. تنفسنا الصعداء وأكملنا الحفل .فرغم اني اركز على الكلمات في البداية إلا أني قررت أن امتع أذناي بروعة الموسيقى الشرقية التي أعشقها منذ الطفولة. لأنني لو تابعت الكلمات واحدة تلو الأخرى لأصبت بالغثيان فلا رابط بين ما يقوله .فقد خلط الفنان الراقي الدجاج بالحليب والحبّ بالحمّامات !.

اقترب بجانبنا أحد وأصبح يلتقط موجات الحديث المتبادل بيننا. لم يشعر بالحرج أبداً. ففي عصر الشفافية العالمية لا تكاد الكلمة تخرج حتّى يتم تعميمها. كم يخاف البشر على بعضهم البعض لدرجة أنهم ينصتون بشدة لعل مشكلة حدثت بينهم ليجدوا لها الحلّ المناسب!

الهواتف تضيء الفضاء أكثر من أضواء السهرة الغنائية .

لقد علّق الناس أحلامهم على إشعارات الفايسبوك، أو رموز الماسنجر التي تملأ الشاشة إمّا بالفرح وإمّا بالحزن.

لقد أصبحنا نضحك كالمجانين حتى عندما يرانا أحد من بعيد يقول " القوم فقدوا عقولهم ". لا تستغرب كثيراً، فأحياناً أرى من يعانق عمود الإنارة . لعلّه يعشق النور اوأخطأ الطريق ."

لقد حزّ في نفسي كثيراً عندما تقول ياسمين : من كثرة ما نتداول من صور تذكاريّة، أصبحنا نتلهف لتخزينها ولا ننظر إليها مجدداً، على عكس الأيام الخوالي عندما يحمل الآباء دفتراً كبيراً ضخماً ويجمع أولاده وأحفاده من أجل استعادة اللحظات الجميلة في الحياة.

لقد أعادتني إلى أعوام خلت عندما كنا نرى الواقع، إلاّ أنه اليوم بفضل اللاسلكي أصبح الواقع يمر أمامنا ولا نشعر به، كأنه يخدعنا.

إنّ الفضاء الاجتماعي الافتراضي ... قضى على الاختلاف الطبيعي والرائع في الأجيال ، وصنع لنا عالماً فوضوياً تشيع فيه تربية الفوضى وانعدام المسافة بينك وبين من يكبرك سنّا، أو يكبرك تجربة.

إنّ الإبتسامة أصبحت محنة، فمع وجود الكمية من الرسائل المبعثرة في الأذهان . تسلط علينا الاكتئاب المرضي من كل ناحية حتى أصبحت السعادة مصطنعة لا تعبّر عن اللحظة التي من المفترض أن تكون لحظة تنفيس عن الذات.

كلّما ابتعدت قدماي أكثر زادت خليّة الحبّ انتشاراً، وكلّما اقتربت الأقدام من بعضها البعض ظهر النفور وانغمس كل واحد يتفقد بريده الإليكتروني.

جعلني هذا الموقف أفكر في ماهية الإنسان.

ففي عصر مضى كان يعني كلّ كائن حيّ يفكر، يأكل، يشرب ويبني. والآن يستهلك، ينام مفتوح العينين وعنده حاسوب ! أول سؤال يتبادر على أحدهم في جلسة مع الأصدقاء، هل عندك واتساب ؟ صفحة رسميّة على الفايسبوك؟

إذا تحدثت عن الكتب، ستجد الأنظار إليك موجهة باستغراب كأنّ ميتاً في الحلم استفاق وراح يخطب في الناس.

يتركونك وحيداً بحجّة أولويات الحياة ومبدأ الواقعيّة. لكن عندما يكون الواقع غير واضح الملامح فيجب حينئذ أن تنظم لعالم خاص بك تصنعه بنفسك وهذا ما تعجز عنه الأجيال التي ظهرت مؤخراً لأنها تستعمل أشياء لا تفهم كيف تركّب. إني أخشى عليهم أن يصبحوا يوماً ما دمية في أيدي من يقتل فينا الحب يومياً بحروبه الإليكترونية !.ولا أستبعد فرضية أن يتحولوا إلى روبوتات. لعلهم يكونوا روبوتات المستقبل الذي تحدث عنهم العلم الحديث!

إنه شيء مقرف للغاية عندما تتحدث مع شخص على الإنترنت ولا ترى انفعاله الحقيقي في وجهه.

هذه الناحية أثرت فينا كثيراً حتى أصبحنا نكره بدون سبب، ونشعر بغياب الاكتفاء الذاتي من الجانب النفسي.

أحبّة افترقوا، وأصدقاء ذهبوا أدراج الرياح لكلمات أسيء فهمها أو غابت عنها الملامح الحقيقية لصاحبها فأخذت منحى آخر.

لم يعد في وسعي أن أتأمّل بدون قهوة الصباح والمساء و... كلّ لحظة لا تساوي شيئا بدون أن أشرب فيها قهوة. هذا الشعور هو ذاته ما ينتاب أيّ شخص قدّم رقبته فداءاً للمواقع الإليكترونيّة، التي لم تأخذ فقط تفاصيله الشخصيّة، بل عقله أصبح مبرمجاً على ما يصدره ذلك الموقع من غير أن يعرف مخاطر (الدمغجة) عندما تأتي على مراحل. فهي قادرة على أن تحوّلك من عاقل إلى أحمق بظغطة زر، ومن صانع الألعاب إلى صانع الدمار.

إنّ ياسمين تكره كثيراً عندما أتحدّث إليها وأنا منشغل في الاطلاع على خبر ما أو قراءة مقال سياسي، حتّى أنها من كثرة إشمئزازها لا ترفع سماعة الهاتف يومين متتاليين.

لقد تسبب هذا الموقف في إحساسي بالحرج الشديد . فقلت لها إنه شيء غير إرادي. إذا إلتقينا ومعي الحاسوب فأغلقيه بنفسك حتى لو غضبت، بهذه الطريقة أعود لأستشعر حلاوة الحوار المباشر ! ولك أجر إعادتي إلى الواقع الجميل !

مثلما يحقّ لنا أن نجمع الشمل بين حبيبين، أليس المطلوب في عصرنا اليوم أن نعقد صلحاً بين الإنسان وواقعه بسبب الإستعباد الرقمي ؟!

❊ ❊ ❊

مجتمع ما بعد الزواج!

لم أعد أشعر بطعم الحبّ كما أشعر به من قبل. تشعر بالغثيان قبل أن تنطق بكلمة. كم أصبحت هذه الحياة قاسية على الإنسان، بل الحقيقة أنّ الناس قد قسوا على الدنيا وحمّلوا الإنسان أكثر ممّا يتحمّله.

إنّ المجتمعات التي حرّفت الحب عن مفاهيمه الرئيسة، قد صنعت قالباً مزيفا تسود فيه الفخامة والأناقة قبل الصدق والإخلاص.

obeikan.com

رأيت ياسمين واقفة في شرفة البيت تطلق نظرها هنا وهناك، تتأمل العشاق يجوبون الشوارع، كأنهم يكنون العداء لبعضهم البعض ،من يمسك يد من يحبه أكثر، ذلك من يطلق عليه العاشق ! بينما القلوب تكاد تكون ممزقة، لا تتفق إلا في أشياء ضئيلة.

أشارت إليّ بمشاركتها النظر قليلا وقالت لي "مجتمع أعمى يقوده عميان " ،قلت لها بنبرة ساخرة وضاحكة :

"الحبّ أعماهم ،إنّهم محظوظون!"

الناس لا يحركهم إلا الإغراء، فحتى الاتفاق على الزواج أصبح كالمفاوضة على صفقة تجارية.

أنكلف أنفسنا كلَّ هذا العناء، كأنَّ الضرورة أصبحت تقتضي- من الإنسان أن يتعلم مبادئ الدبلوماسية والعلاقات الدوليّة

قبل أن يدخل في حوار مع فتاة المستقبل ! هذا الكلام أغضب ياسمين تلك الفتاة ذات القلب النقيّ التي تنظر تجاه العالم بنظرة واقعيّة بعيدة عن التعقيد من جهة والتبسيط الكثير من جهة أخرى. لكن تفهمها السريع للأمر جعلها ترفع شعارا أمام بيتها مضمونه "أنا لست مثلهم!".

لم أخفي سروري الدائم عند المرور من هناك، حيث كانت لا تزال في قصرها ترسل لي ابتسامة عن بعد، كأنَّ جداراً عازلاً يفصل بيننا .

لم تعنيني يوما علويّة القصور، بل كان المهمّ بالنسبة لي من يقف ورائها ،حيث يتبادر دائماً إلى ذهني روعة التصميم، والرفاهية المطلقة. لكن تأتي أسئلة مفاجئة ومروعة في بعض الأحيان؛ هل كل هذا في صالح الإبداع أم لا ؟ هل هذا يمنح رؤية فكرية جيّدة عن العالم وما يدور فيه ؟

كان المنحى الفلسفي يأخذني في غالب الأحيان نحو أسئلة تبدو واقعية جداً، لكنها تحتاج إلى مجالس حتى أجد الجواب المناسب. تحوُّل كبير من مجتمعات تعيش على زواج تقليدي طبيعي إلى" مجتمعات ما بعد الزواج"، أين يحبّ الرجل عشرات النساء في اليوم، ويعود ليأكل مع امرأة واحدة من المفترض أنّها تمثل الاستقرار والملاذ الآمن !

لا يجب أن تستغرب كثيراً مما أقوله، لكن الأقنعة التي يلبسها الإنسان تضرّ به عاجلاً أو آجلاً. ما الذي يجعل الرجل يفكرّ كشاب غير مسئول في بداية شبابه ؟ وما السبب الذي لا يجعل المرأة تملأ الفراغ الذي أنشأه واقع الآلة الحديثة ؟

إنّ ياسمين تردّد بصفة مستمرة أنّ الرجال يخونون باستمرار، تسبب لهم المشاكل الفجوات النفسية بينهم وبين من يحبون، لهذا يهربون إلى واقع آخر مع الأسف ليس افتراضياً لكنه

واقع حقيقي ومرير! ألا وهو إعطاء المسألة مفهوم آخر حتى تخرج من طابع المنع والضمير الذي يصرخ من الداخل !

لتصبح عادة يتوارثها الناس جيلاً بعد جيل. بل أصبحت فقهاً قد يبرره من يأكل خبز المنظمات الإسلامية وأحزابها التي يفوق عددها عدد السكّان !.

كما أننا نعيش مجتمع ما بعد الصناعي فإننا نعيش أيضا مجتمع العلاقات العابرة ! التي تتعسّف على مشاعر الطمأنينة تجاه الطرف الآخر، وتحول الحب إلى سلعة يرتفع أو ينخفض سعرها حسب اقتصاد السوق !

الفوضى تسود الموقف، اليوم أكون معها وغداً لا أدري، بين الصبح والليل قضايا عصيبة نناقشها، لقد أصبح فهم الآلة والتعامل مع الجماد أسهل بكثير من التعامل مع بعض الناس!

تمتزج ألوان المحبةّ بألوان الكره لتصنع لوحة ضائعة بغير هويّة. لوحة صامتة لا تكاد تتحدث عن نفسها كما نرى في السابق لوحات تزهو بألوانها وتنطق بغير كلمات!

أرأيت يا ياسمين إن أهديت إليك وردة ، ماذا ستفعلين بها ؟

قالت ياسمين مستغربة : تعجبني دائما بأسئلتك الغريبة والمعقدة لكن الجواب الذي سيكون هو أنني سأحافظ عليها حتّى تنمو وتكون شاهدة على حياتنا.

قلت في نفسي : هذا رائع جداً، تمنيت لو أجد هذه الإجابة عند كل العشاق لكن مع الأسف أكثرهم يرمي الورود ولا يحافظ عليها، كأنّهم يؤمنون بأنّه يوما ما سيلتقطها أحد آخر.

إنها لحظة فارقة في الحياة عندما ترى من يمسك يدك يذهب ليمسك يد أخرى.

شعور يقتل ما بداخلك من مشاعر طفولية ليستبدل مكانها شخصية الذئب الذي يُكنّ العداء حتى تحين لحظة الانقضاض. إنَّ الناس يحكمون بسهولة على الأشياء. ينددون بالظلم لكنهم يظلمون مائة مرة في اليوم.

إن سرعة المواقف تشبه سرعة الإنترنت حيث أحدثت التكنولوجيا فراغاً كبيراً في العلاقات الاجتماعية الطبيعية، فردة فعلها بسرعة فائقة جعلني أملّ من إرسال الرسائل وأكتفي بالصمت كلغة جديدة في الحب ! لغة التحديق بالآخر والابتسامة أحياناً .لا يستطيع أن يفهمها الكثير ومن الأفضل أن لا يفهمها إلا القليل.

فالندرة شيء جميل وما يسود في الغالب دائماً غير مرغوب. فالكلام الكثير يتناثر كأوراق الشجر لكن مطر الزمان يمحوه ويبقى أثره في النفوس. مجتمع نادر الوفاء كما تقول ياسمين،

لم أر غربة مثل التي يعيشها عشاق هذا العصر. غربة الذات وغربة تجاه الطرف الآخر، لم يستطيعوا الصمود أمام تمرّد الضمير فانساقوا وأسسوا حياة زوجية موازية مع الحياة المعلنة. هل كل ما يعلن بريء وكل ما لا يعلن غير بريء ؟ سؤال بسيط لكنه يحمل في طياته عديد المعاني.

استفاقت في الصباح فوجدت رسالة عنوانها " رسالة من معجب "، لم ترق لي كثيراً الرسائل التي تصلها من المعجبين.

شعرت بذلك رغم أني لم أصرِّح بشيء فقامت بفعل نفس الشيء حيث بعثت لي رسالة مفادها "الإعجاب من شخص مجهول" حتى تكتشف شعوري، لكن الأمر لم يعجبني وقررت رمي الرسالة في سلة الفضلات.

قلت لها في حديث مسائي : إن ازدواجية الحب مقيتة ومن يعجب بشخص فإنه سيفتك بحياته من الحبيب الأوّل ، الثاني

أو الثالث !"، فالقلوب التي أغرقتها صلابة الحياة قد تفقد الإحساس بالطرف الآخر فجأة وتنتقل إلى عالم آخر؛ نكاية في الأزمات التي تعترض الطرفين .إنّه أمر محزن ولكنه أيضاً غريب.

ياسمين تهتم كثيرا بلعب الغولف وتسلّق الجبال.لقد شاركتها في الكثير من المرّات عالمها الترفيهي الخاص رغم أنّي لا أحبّ الرياضة كثيرا. لقد تغلّب اليوم عالم الصمت على عالم الحركة.

فلم يعد يجدي التحرك الكثير والعقل مهموم والقلب مكسور. إنّ عدد الأيّام مهمّ في إصلاح القلب وما حدث فيه من لوعة، وإنّ أحدث الآلات الطبية تستطيع أن تحافظ على القلب كشكل لكنها لا تستطيع أن تبقي على الإحساس ونفس النظرة للأشياء !.

من الجميل ان تشارك الأحبّة النشاطات التي يحبّونها حتى وإن كنا مختلفين ،لأنّ هذا يرفع من المعنويّات ويوطّد العلاقات أكثر. إنّ أكثر قيمة لا يراعيها العالم الحديث هي قيمة التضحية بكامل تجلياتها. لا نكاد نجد هذه الميزة إلاّ في القليل ففي مجتمع تتشابك فيه خيوط العنكبوت يصبح لا فرق بين الوفاء والخيانة، المنح والمنع .

لهذا السبب من يضحّي لن يتجرأ على أن يدوس قلب من يحبّ بدون رأفة ، ولن يستطيع أن يبتعد عنه بمجرّد خطأ قد يغفره التاريخ ولا يغفره صغار العقول !.

جلسنا بجانب نهر فقامت ياسمين بصناعة مركب من الورق ووضعته في الماء، فأصبح يسير بسرعة رهيبة حتّى اختفى عن الأنظار. لقد أثر فيها المشهد رغم بساطته إلا إنها نظرت إليَّ

وقالت : " هكذا الإنسان إذا ذهب ؛ فسيختفي تدريجياً ويستحيل رجوعه !"

قلت لها : " الحياة تمضي يا ياسمين، والموت لا ينتظر أحداً، وسيكون أسرع من القارب الذي مضى ـ ولم يعد " قالت : صحيح، إن يفرّق الموت بين العشاق أفضل من أن يفرقهم شيء لا يرقى أن يكون سببا منطقيا !"

ذهبنا لنحتسي القهوة ، كنت أشرب القهوة بالسكر في العادة لكن فضلت أن أغيّر من عاداتي وأشربها مرَّة. لأني لا أريد أن أصطدم يوما بتغير الأشخاص من حولي ! و لكي يكون الامر طبيعياً؛ فالمرارة عندما نختارها نحن تكون أقل وجعا مما لا نختارها بإرادتنا. إنَّ اليأس يقتل الخلايا التي بداخلنا عندما تنفجر ألماً، ولكن الأمل وإن طال صبره فإنه يصنع خلايا جديدة تبعث فينا الاستعداد الإيجابي للقادم.

إن مفهوم الحب للحبيب الأول لم يعد قائماً في عصرـ ما بعد الزواج، لأن الحبيب الأول عندما يذهب بغير رجعة ، يأخذ معه كل الحيوية والمعاني الجميلة في الحياة، في المقابل يترك مبادئ الصراع والتسلط على الآخر كما هو حال مجتمع التغطرس المالي، حيث حوّل بعض منظري القرن الواحد والعشرين وجهة الإنسان من إنسان صاحب رؤية بإمكانه التحليق عالياً إلى إنسان يجمع المال ويصرفه بعدئذٍ عند تدهور صحته او ضريبة لدولة العدالة الاجتماعية !

نحن بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى جهاز لقياس درجة شغف الشخص بمن يحب حتى نتنبأ بالمستقبل، استمرار حتى الموت أو قطيعة ؟!

فقد كثرت هذه الأيام الأحاديث المطولة والبرامج المفتوحة عن العلاقات العاطفية لكنها لم تعالج الأزمة!

مثل الوطنيّة التي يدعيها الكثير ، حيث عجزنا نحن البشر ـ أن نخترع جهازاً يكشف مدى وطنيّة الشخص! لأن الأوطان أصبحت تباع على قارعة الطريق !

ربّما من أجل الخبز أو من أجل الحرية الجوفاء الخالية من كل ما تتطلبه الحرية من مسؤوليات !

في الحقيقة ، ياسمين دائما تسعى للمقارنة بين تلك البيئة والأخرى ، لكنها تجعلني أعجب بموقفها العقلاني الذي يعجز أمامه فلاسفة هذا القرن حتى اكاد أصاب بالهيام الشديد بها ، حيث قالت مرّة وهي تكتب رسالة مودة لصديقتها صوفيا التي تعيش في بلاد أخرى هرباً من الصراعات الطائفيّة :

إنّ الوعي أساس الرقي والاحترام قبل الكلام والمسؤولية قبل الحرية !.

تضيف قائلة : جميل أن نسافر ونكتشف كيف يعيش الآخرون في العالم الآخر لكن الأجمل هو أن تسرح بخيالك وأنت في مكانك، ومؤمن بجمال وطنك وأن تجعله أجمل الأوطان حتى لو لم يكن كذلك . أن تسعى لتصلح الدمار أسرع وأنفع من أن تهدم حضارتك بيد أبنائك.

لقد جعلتني ياسمين بهذا الكلام أحنّ إلى سنوات خلت أمضيتها في الخدمة العسكرية في وطني، وقامت بإحياء قلبي مجدّدا، فالشعور بنشوة الانتصار عظيم و أصبحت فرحتي مضاعفة : حبُّ الوطن وحبُّ المدللة ابنة الوزير. لقد اجتمع أخيراً في قلبي شيئين متوافقين ،واكتمل الحبّ في الذات.

لقد بادرت بإمساك يدها ودعوتها لنركض في الطريق العام ونخترق حواجز السكارى والمارة الذين أتعبتهم المتطلبات اليومية. لقد قلت في نفسي : إنّ الرجل إذا لم يكتشف الحبّ في

طريقه للحياة لن يستطيع أن يرى حقيقة الأشياء والذوات الأخرى. وأنّ من لم يغادر وطنه لن يشعر أبداً بألم الاشتياق.

بل إنني لا أبالغ عندما أقول أن أول مراحل اكتشاف الوطن هو البعد عنه وجعل مسافة بينك وبينه مثلما تجعل مسافة بينك وبين الحبيب في اللقاء الأوّل !

❊ ❊ ❊

obeikan.com

سلاح الواجهة

قمت من النوم للتوّ ، تنفست بقوة فالجو بارد، وجب الاستعداد لاستقبال أول هواء يضرب وجهي عند الخروج.

أزحت الستار فقلت في نفسي، اليوم يومك ،والنشاط في أعلى ذروته. نسيت بالأمس أن أعود بالورود . لأن أهل العشق يقولون بأن الورد يمنح روحاً إيجابية عالية وحماسة رهيبة في تقبّل الأشياء.

obeikan.com

المنطقة يعمّها الهدوء القاتل الذي يشعرني تارة بالرهبة وتارة أخرى بالطمأنينة.

على عكس الظهر عندما تشتد الحركة في المدينة ويعم الجو الصراخ والضجيج. أخذت كتبي معي وتلقفت صحيفة مرمية على كرسي المواصلات العامة. فوجدت خبراً يقول :

" الحرب العالمية الثالثة على وشك الدخول والجميع يهلل فرحاً لها ". قلت بصوت خافت لعلي لم أشرب قهوة الصباح بعد، حتى أستطيع قراءة الخبر بصورة صحيحة ".

كررت المحاولة بالقراءة حرفاً حرفاً. لم يكن ذلك سخرية أو مزاحاً، بل خبراً صحيحاً في الصفحة الرسمية، وليس كما تعودنا نراه من المزاح اليومي في الصحف والمجلات عموماً.

دعاني الخبر لأفكر في مصير العالم المسكين الذي عـرف القـيم وحرَّفها عن مسارها ،وعرف الحريّـة فإسـتغلها لخدمـة جهـة معيّنة في هذا الكوكب ،الذي يعجّ بالسكّان ويزداد يومـا بعـد يوم رغم سياسات تحديد النسل!

ليس التشاؤم سيّد الموقف، لكنّ الواقعيّة أمر ضروري لوضع الأمور في نصابها.

ياسمين عرفتها والحرب العالمية على الأبواب. ما أصعب هذا الموقف على القلب، خاصة عنـدما تتـأرجح أحاسيسـك بـين الفرح والحزن ، حزن على عالم يحتاج وقفة لكـل العشـاق، كي ينثروا الورود عـلى الأسـلاك الشـائكة ، وعـلى منصـات الصواريخ ، لعلّ هذا يهدِّئ من الوحشية التـي تقـود الحـرب من دون مراعاة لقيم الإنسانيّة.

لقد رأيت ياسمين خائفة من الخبر المفجع الـذي افتتحـت بـه الصـباح، رغـم أنـه يـوم يـوحي بالنشـاط والإنتـاج، إلا أن الخراب يسود، بدأ بالجرائد ثم الإعلام المرئي.

حاولت مراراً التهدئة من روعها، لكن أظن أنّ خبرا مثل هذا سـيكون صـفعة في وجـه مـن يريـد الإنسـان مقيـداً بـأغلال التكنولوجيا، وطريقها المرير نحـو اسـتهداف واقـع الإنسـان الحقيقـي. فـآلات الـدمار تقتـل كـل شيء. ولا زلـت أقـول لياسمين وهي بجانبي محدقة، تراني واضعاً يدي عـلى خـدي، شـارد الـذهن، أنـه لا يسـتوي صـانع الحضـارات بصـانع المتفجرات. وأن من يملك القيم الحضارية في ذاته بـالفطرة لا يمكن أن تنتزعها الأحقاد والشر الكامن في النفوس.

إنني أخاف عليها سطوة العـالم المـادي النفعـي الـذي أخـرج حياتنا من قالبها الطبيعي المتكامل بين الرجل والمـرأة. فقلبهـا

الصافي كالبحر شديد البياض الذي يظهر مرجانه من أعلى القارب لا يتحمل ما تصنعه الميديا من بلاهات تغيّب بها العقل وتحوّل طريق الحبّ إلى نمط إستهلاكي ركيك، كأنه زرّ تشغله وتغلقه وقتما تشاء.

المحبّ عندما يكتب قصيدة أو رواية فإنه يجمع مشاعره ويرسخها هناك حتى يعبّر أقصى ما يمكن التعبير عنه.

هذا ما لا يعرفه أو لا يشعر به من يقبض الثمن لقاء ذلك. فالتعبير عن الحبّ في حدّ ذاته انتصار وخروج الذات من تقوقعها السلبي حول ذاتها و المركزيّة المقيتة.

لا يجب أن أخفي حقيقة اليوم الأسود الذي حوّل فيه الناس الحب إلى يوم في السنة وكأن باقي الأيام مجاملة وسُنَّة يفرضها العشق! لغة الحرب أعنف من لغة الحب ،ونتائج الحب أشدَّ من نتائج الحرب. إما ستجعل منك إنساناً مفعماً بالأمل

وصاحب نظرة مشرقة وإمّا ستصبح إنساناً غير مبالي بما حولك، ويستوي عندك الوقوع في الحبّ من عدمه.

لهذا فالحرب تكسر الأجساد وتعيق الحركيّة اليوميّة في حياتك .لكن الحبّ يكسر القلب الذي هو جوهر الحياة ومركز الذّات الإنسانيّة. قالت لي بنبرة ساخرة :

" أتريد أن أشتري لك قلباً آخر"!

فقلت لها : عندما تصبح القلوب موضع مساومة وقابلة للاستبدال مثل أشياء أخرى. فوجب حينئذ أن نعقد صلحاً مع أنفسنا لأنه يمكن أن نصبح وحوش بشرية تفترس كل شيء !...

إن الأسئلة التي تروق للمرأة لا تروق للرجل أحياناً والعكس صحيح. التكامل والانسجام لا يحققه إلا الاقتراب

من الآخر واكتشاف خفايا نفسه من خلال ما يقوم به في الحياة من نشاطات مهما تنوّعت. إنني أعيب عليها بساطة فهمها للعشق. فإنَّ الأهمية تكمن في استيعاب هذا المفهوم والتعايش معه في إطار واسع لا ضيق، ومكان مفتوح لا مغلق !.

لست من محبي فن التلميح وإنما فن الصراحة وإن كانت شديدة على الإنسان.

لهذا أفقد يومياً العشرات من الناس، سواء أصدقاء أو أقارب، لأن الناس تحب المجاملة في الأفعال والأقوال.

لكنَّ ياسمين مختلفة فهي تحمل قلب الطفل الصغير الذي يتصرف عفوياً بلا نوايا مسبقة، لهذا أخشى يوماً أن تصبح مشاعرها جامدة كالحاسوب الذي نقف أمامه يوميا لقضاء شئوننا. الأخطر من ذلك عندما تصبح مشاعرنا مبنية على

obeikan.com

ردة الفعل وليس المبادرة كما هو الحال في العصور التي خلت، والتي تميزت بأنها العصر الذهبي الذي وضع الحب بدرجاته المختلفة في وضعه الفكري والفلسفي.

لم يكتفِ به كعاطفة عابرة تقوى وتضعف حسب التغيّرات الاجتماعية. للأسف لقد ضاع هذا المفهوم بين صراعات الحاضر المريرة التي تهدف لتغيير كل شيء حتى الإنسان نفسه.

أحترمها وأحترم فصاحة لسانها رغم أسلحتها المصوبة نحوي من كل اتجاه. فتارة تباغتني بسلاح الغيرة فتحرمني الحديث مع الأصدقاء، وتارة أخرى تباغتني بسلاح الدموع وذلك أشدّ الأسلحة عبثاً بقلبي، حيث أتمنى في تلك اللحظة لو أنني أمام شريط فيديو حتّى أتمكن من إيقاف المقطع.

نحن بحاجة لتعلم لغة الجسد لفهم الطرف الآخر لأنّه بتنوع الوسائل وكثرتها عجزنا عن التعبير عن لبّ الشيء.

هذا ما يفسّر برودة ردود الفعل عند اللحظات المصيريّة سواء في لحظة الحبّ او لحظة الفراق المريرة !.

إن أزمة العالم و أزمة الصراع الحتمي بين القلوب سواء أمم أو أفراد تتمثل أساساً في صعوبة فهم الذات فمهاً شاملاً .

لهذا السبب نرى الطريق دائماً ضبابياً لأننا ببساطة لا نفهم الذات وإلى أي اتجاه يجب أن تتجه . فلكل شخص أسلوبه في الحب وطريقة التعبير عنه. إنَّ اظطراب المشاعر ناتج عن الحرب التي يشنها يومياً أعداء الإنسان الذين استوت عندهم القيم العليا والقيم السفلى. لقد حاربوا الذات في كل شيء، في إرادتها، عزيمتها، ذوقها الخاص، ولا أبالغ عندما أقول حتى جمالها الروحي والفكري.

ياسمين تعلم ذلك جيداً لكن عدالة القرن الواحد والعشرين لم تنصفها. عدالة تساوي بين الرفيع والوضيع، بين الذي يبني والذي يهدم، بين العاشق المبدع والتافه الرخيص.

ليت الحروب تزرع المحبة بدل البغض، والحياة الكريمة بدل اللجوء .لكنها تعمّ بسوادها كل مظاهر الحياة.

العشاق هم ضحايا كغيرهم، فقد غرقوا في بحر المصالح المتبادلة والتجارة التي لا تراعي القيم. فكأنّ القلوب أصبحت كأبواب الأسواق تفتح لكل الزوار من دون إذن ولا استئذان. إذا أردت الدفاع عن امرأة تحبها فعليك أن تنشئ جمعية أو منظمة تكون لسان الدفاع عنها. هذا حال من يريد إفشال الحب وإصابته في مقتل.

أسير في الطريق شارد الذهن بعد خبر الحرب العالمية الكارثية التي من المفترض أن تقع، فإذا بي أرى على اليمين وعلى

الشمال لافتات تدافع عن حق الأولاد والإنجاب وكذا وكذا...

قلت في نفسي أليس القلب عندما يتحجَّر بحاجة إلى مصالحة حتى يلين ، أوليس الجرح عندما يكون عميقا بحاجة لمن يعالجه حتّى لا يتكاثر . عندما يحلو لها أن تنصرف، ألا يمكن أن نقول أنّ هذا من الجور الذي غفلت عنه الشرائع ...!

إنّ العنف يولده الكبرياء المتغطرس الذي لا يشفق على القلب الصغير المحب من أول وهلة. أريد أن يتعلم الناس عمق المأساة التي أصبح يسببها من حولوا العشق من شيء جميل يكاد يكون مقدّس إلى تجارة لا تراعي ما يقدّمه العشّاق يوميا من تضحيات، كمن يجلس في مقهى فاخر ويدعو الناس إلى الزهد نكاية في الرأسمالية المتوحشة !

إن الأسرة التي فرقتها الحروب بالوكالة تشعر بنفس الإحساس بالجوع مثلما يبتعد الحبيب عن حبيبته التي ينسى أكله وشربه في حضرتها.

لقد أصبحت أرى هذه الأيام شعارات براقة تدعو الناس إلى الحفاظ على الطبيعة، فجاء في بالي لماذا لم يضعوا هذه اللافتات على مصانع الموت التي تقتل الآلاف يوميا ويحميها قانون الأمم التي توحدت في كل القضايا إلا في قضية الإنسان.

أسمع بين الحين والآخر صفارة الإنذار، فأرتعب من صوتها، فتارة أعتقد أن هناك خطراً قادماً وتارة أخرى أقول إنه تدريب روتيني.

لقد تشابهت الأصوات في المدينة حتى أصبحت أحمل سترة الوقاية معي ، لعلي أنجو يوماً ما من الموت المفاجئ او من طعنة في الظهر تجعلني أثق في الذئاب ، ولا أثق في البشر.

إننا أصبحنا لا نهاب صوت الانفجارات، وإنما أصبح يرهبنا الانفجار الذي يحدث يومياً في قلوبنا ونكتمه! قد لا تشعر هي به لكني أشعر به يومياً حتى أضحى عندي عادة وليس استثناء.

لا يجب نسيان حقيقة أن الإنسان من المفترض أن يؤنس ، لكنه اليوم تحوّل إلى وحش يتخفى تحت غطاء القوانين ممّا يحيل كلّ إنسان يقدّر قيمة عقله إلى أن يطرح سؤال لنفسه مفاده : كيف يواجه الإنسان نفسه في عالم الضياع ؟

لقد كثرت الرؤوس التي بلغ عددها اكثر من سبعة ألاف ثم يحدثني صاحب الشعر الأشقر عن السلام العالمي .

لقد أصبحت الحمامة تعاني مثلها مثل غيرها . فالكل يتحدث باسمها ولا تستطيع الرد!

إنَّها تعاني، فقد تحوّل لونها من الأبيض إلى الأحمر، وتنزف يوماً بعد يوم. لقد كثر البكاء اليوم على العشاق الذين انفصلوا وساد الصمت كثيراً عندما فقد الحبيب حبيبته تحت صوت القنابل. لقد كثر الاستعلاء على البشر باسم المساواة وكثر الغدر باسم الإخاء وعمَّ الانفلات باسم الحرية !

❊ ❊ ❊

obeikan.com

الحمار الذكي

إن العروبة تحن إلى الماضي، تتألم من الحاضر وتخاف من المستقبل.

لم يكن بوسعي خوض تجربة المرور بالصحراء الكبرى. فالكثير يحتقر الصحراء باعتبارها موطن البساطة وضيق الحاجة. هذه الفكرة الخيالية لم تتولَّد إلا في عقل من حرم متعة الاكتشاف، والغارق في متاهات العولمة التي مدَّنت كل شيء، وأخرجت العديد من الأشياء من طابعها العادي الذي يعطيها نكهة خاصَّة.

لا نكاد ننسى ما نكتبه في الصغر من رسائل كأننا نـؤمن يومـاً ما بأنها ستصل لمجهول. لقد كنا نحسن الظـنّ بمـن لا نعرفـه والآن نسيء الظن ونحن على بعـد كيلـومترات. أمـر رهيـب بالنسبة لي، فقد خلق هذا ذعراً كبيراً في قلوبنا، لقد نظـرت إليّ ياسمين بغرابة وقالت بنـبرة حـادة : إن طفولتنـا مكـون مـن مكونات شخصيتنا، لكن لا تـترك هـذا الأمـر يجعلـك تنظـر بقداسة للماضي وتهكم على الحاضر !

فلكل عصر ـ متطلباتـه، وأسـلوب التعامـل فيـه! إنَّ الصرـاع الحضاري بين الأزمنة المختلفـة أمـرٌ لا مفـرَّ منـه حتـى يحقـق الإنسان الصعود من القـاع إلى السـطح، ومـن المحدوديّـة إلى التكامل وإن لم نبالغ إلى مرتبة المثالية او عـلى الأقـل الإحاطـة بها من بعيد.

obeikan.com

لقد قلت لها قبل نهاية العام : الشيء المقرف في هـذه الأيـام أنّ ثقافتنا تندثر ونحن احيـاء فـما بالـك لـو متنـا ! إنّ أفضـل أن تمحى هويتنا بعد أن أفـارق هـذا العـالم الجزئـي لا أن تمحـى، وأعيننا تشاهد هـذه الهجمـة التاريخيـة التـي تقلـل مـن شـأن الطبيعة الجغرافية التي كانت الومضة الأولى لا حيـاة في هـذه الأرض.

قالت ياسمين مشيرة بإصبعها نحـوي : لا تقلـق، فالحضـارة يحميها أصحابها قبل أن تطالها يد الغدر. لاحظـت في وجههـا حسرة كبيرة كشخص يشـعر بالتقصـير .أحسسـت بصـعوبة الموقف وقلت لها : مادام القلب حياً ينبض من الداخل، فهـذا هــو المحــرّك الــذي يجعلنــا أقويــاء وقــادرين عــلى تجــاوز الصعوبات.

شعرت بارتياح كبير كأنَّ جداراً عالياً أزيح من أمامها.

لقد حدقت في مكتبها فترة فرأيت الفانوس يضيء رغم ضوء النهار الساطع ، فقلت لها : ألا يكفي ضوء النهار حتى ترين بشكل جيد. قالت بنبرة غاضبة : لم يعد يكفيني نور النهار لرؤية الأشياء، فإذا قال لك أحد أنه لا يرى جيداً؛ فهو يرى أكثر منك لأن التغابي سلعة تروّج في زمن النوايا السيئة.

إذا قال لك احد أنه لا يتحدّث في السياسة؛ فاحذر منه فإنه في مهمّة سياسية !.

فمن لا يملك رأياً في قضية ما ولا يعلق على حادثة؛ فإن به خللاً وركوداً يجعله ميّت بلا موت !

يؤسفني أنّ ياسمين تشعر بالضيم عندما تشاهد بعض الندوات حيث تقول لي دوماً : جميل أن نفكّر كعالم واحد، لكن سعادة الإنسان أصبحت مهددة ولم نعد نشعر

بالاستقرار إزاء المحاولات الخسيسة لمحاربة تفرّد الإنسان ونزع السيادة منه !.

كلامها يحمل في طياته الواقع المزري الذي أضحى يعيشه من يركب السيارات، لكن لم تطل يدهم بعد من يركب الجمال، أين يوجد نقاء القلب وصفاء السماء.

لقد هبّت علينا نسمات الحريّة من كلّ فجّ حتى عجزنا عن سدّها .عندما أمرّ في السوبرماركت أشعر بأنّ الإعلانات قد اخذت مني أجمل أنثى في قلبي الصغير! لقد حاربوا الحبّ في الظاهر والباطن، وشعار الحال يقول : احذر من أن تعطي قلبك، فسيعود يومئذ لك في صندوق أسود مزركش.

يذكرني بطفولتي الحمقاء عندما كنا نخطط استراتيجياً لغزو الآخرين حتى نسيطر على مقدراتهم. كذلك أصبحت علاقاتنا في معظمها ذات بعد تعسفي يسلب الإرادة.

لقد مضت الأيام بسرعة لا تكاد ترى حيث أننا لم نتفطن للطيور التي فوقنا التي ظهرت بسرعة كنبات الأرض.

لقد فاحت أزهار الربيع حتى أصبح الوضع لا يطاق، والإنسانية باتت تقبع في مصب الفضلات الذي يجري على قارعة الطريق. قالت ياسمين: أصبح يملأنا الآن اليأس المطلق، بعد أن كان يلوح في الأفق!

تنظر ياسمين كعادتها من النافذة لترى السحاب يجري وراء بعضه في طقس جميل. يأتي في خاطرها أحياناً نسق الحياة يجري بنفس السرعة، والأمم التي تتقدم ولا تنتظر أحداً. بل معظمها يدوس الآخر؛ اعتقاداً منه أنه لا يبرز وجوده إلا بنفي المنافس.

إن الكثير لا يعلم أن المنافسة متعة لا تضاهيها أي متعة أخرى.

ففي الحب يتنافس الطرفين لإظهار المحبة لبعضها البعض كما هو الحال في سائر المجالات.

ذهبنا كعادتنا للتسوّق ونحن يملأنا التشوق لرؤية كل ما هو جديد وحصري ، وإذا بنا نجد أمام الباب صورة لحمار ذو خلفية حمراء وزرقاء .لقد خطر في بالي أنّه كاريكاتير لصحيفة.

أردت أن أفهم الأمر لأنه ليس من عاداتي أن يفوتني شيء إلا وأعرفه. فهمت ياسمين حيرتي، فقالت بسخرية : لقد كنا نركب الحمير في السابق لكن اليوم تركبنا الحمير وتقودنا نحو الرفاه !

ضحكت وقلت لها : فلنكمل طريقنا إذاً، لأنّ هذه المنشورات قد تصنع لنا جيلاً لا يعي ما يقول ولا يعلم ماذا يريد من الحياة ويعيش بلا ضمير حيّ ! لأنه يقال دوماً أن الفكرة إذا تكررت كثيراً قد تصبح حقيقة يؤمن بها الكثير .

إنَّ من أساسيات هذا العصر ـ المتسارع أنه يمحي أشياء، ويرسخ أشياء أخرى ولكن السؤال المطروح : ماذا يرسّخ ؟

تقول لي ياسمين أحيانا لماذا أصبح الإنسان كالسلة التي يمر بجانبها الناس ويرمون ما يشاؤون ؟ فقلت لها : عندما يكون الكأس فارغاً فإنه رغم أنك ترينه هكذا إلا أنه مليء بالهواء.

إذاً لا بد من أن يمتلئ ولو بلا شيء !

ذهبنا للسينما سوياً في اليوم الموافق لعيد ميلادها. كنا نشعر بالفرحة الشديدة لأن هذا اليوم مختلف عن الأيام الأخرى، والمرة الاولى التي أشاركها مناسبة بهذه الأهميّة.

شاهدنا فيلما يمزج بين الرومانسية وحب المغامرة. قصة أسطورية بقيت راسخة في العقل.

قالت ياسمين ونحن في طريق العودة : لا أحب السينما كثيراً لكنني أردت أن أجرب شعور من يرتادها بصفة دائمة.

لقد كان شعوراً حينياً لا يشبع ذواتنا بل يجوّعها تدريجياً. لقد اشتقت للكتب يجب أن أعود سريعاً .

قلت لها : يجب علينا أن نوجّه الصورة لا أن توجهنا .عندما كنت في السنيما، شعرت بأنّ أحدهم يقودني للمجهول وكأنه يستدرجني لشيء ما. حتى خيل لي أنني أسقط في بئر. فقامت حينئذ ياسمين بضربي على يدي ففتحت عيني فأحسست ببؤس الواقع .

شعورٌ قاسٍ عندما تهرب من فخ لتجد نفسك في فخ آخر!

إنّ ياسمين رغم مكانتها المرموقة إلا أنها تفضل التواضع والبساطة في كلّ شيء. إنها من النوع الذي يرفض المتملق

والمتصنع في المقابل تفضل الصراحة وإن كانت صعبة التقبل. لا تهمها المراكز والوصول لأعلى المراتب بل ما يهمها هو رسم الإنسانية بصورة راقية تحفظ كرامة الإنسان في وجه التحديات التي تواجهه من داخله ومن خارجه.

انتهى قولها وهي تشعر بالثقة الكبيرة في ما تقول . تحمست فجأة وقلت : إنّ الصراع الداخلي بين الإنسان ونفسه يا ياسمين أشدّ من الصراع بين الإنسان والآخر في الصراع اليومي على القوة. إنني أشفق على المرأة التي أصبحت كآلة الطباعة تخرج نسخاً عديدة بغير حساب لتوسع الرزق ولترفع في الإنتاجيّة التي تفرضها التعبئة استعداداً لأي أزمة أو غزو أجنبي ! كما يؤلمني أن أتحدث مع امرأة صوتها يشبه صوتي، تبادلني النظرة ذاتها وتنافسني في الشدة كأني أنظر إلى نفسي في المرآة .

لقد أصبح من المؤلم أن نحصر قيمة المرأة قي كمية ما تحمله من حطب.!.

أعجبت ياسمين بكلامي كثيراً وابتسمت ابتسامة عريضة حتى كدت أن أقول لماذا كلّ هذه الابتسامة. فرقة ياسمين وقوة شخصيتها جعلتني أنظر للمرأة بقدسية، فهي أكبر من أن تشقى ويبقى غيرها يتحدث عنها بكل ما يشتهيه في مقاهي الحي أو يختزل قيمتها في الكعب الذي ترتديه، ويصدر زفيراً في ضوء النهار وظلمة الليل!

إنّ المرأة منزل نسكنه، لقد علمتني ياسمين التي ينبض القلب بذكرها، أنّ المرأة عندما تكون حكيمة فإنها تقود الرجل إلى المجد وبالتالي تنجب لنا سادة المستقبل، وأنّها إذا كانت في سجن وضعته لنفسها أم وضعها لها أحد آخر فإنها

ستنكس أعلامها وتعلن انهيار الحصون في وجه من يملك أطول الشوارب!.

إن الشعر قد وصله الماء لكنّ الآلة المحركة للدماغ لم يصلها بعد ، فإجراءات التنمية تأخذ وقتاً لا بأس به !

لقد اتخذ الكثير موطنهم التعاسة والتباكي على الأمجاد، وأنا اخترت الوطن الأكبر الذي شكله حب ياسمين في خريطة قلبي.

لقد شكلنا تحالفا مع بعض،لا تقوده المصالح الفارغة وإنّما تقودنا الرؤية العقلانية والبصيرة ذات المدى البعيد.

تحالف هزم كل من حاول ويحاول استعمار قلوبنا ويأخذ منا الهمّة والسرور الذي ولد في الداخل من جديد بعد أن تمت إبادته بحماقة لن تغفرها حدود الجغرافيا ولا كتب التاريخ .

هذا الأخير أتعبني، لم يتعبني مضمونه بل أتعبني كمية الغبار الذي أثيرت حوله، لقد قلت في حوار ذاتي صامت : لقد غفل القوم عن التاريخ فلم يستطيعوا فهم الحاضر والتطلع للمستقبل ...

تحدثنا أنا وياسمين سوياً في لقاء جرى تحت رعاية مؤسسة تربوية حول آفاق العلاقة بين الرجل والمرأة، حيث قالت ياسمين في كلمتها على المنبر : لا يستهويني الحب الذي يأتي على رؤوس المدافع ، وإنما يستهويني الحب الذي يزرع بذور التجديد ولا ينفي السابق. كما إنني أدعو إلى حرية تقرير المصير !

لماذا يمثل الرجل دور المرأة والمرأة تمثل دور الرجل ؟ أليس من الأجدر أن يعودوا لأدوارهم الرئيسية ؟ لماذا يتكلم باسمي اليوم من لا يشاركني آلامي وأحلامي ؟

إن العروبة عروس لم تحسن اختيار زوجها فعبثت بها الرياح المتأتية من كلّ الحدود المجاورة. لقد أصبح البعض يسقط مشاكله على الآخر ظناً منهم أنهم يغيرون الواقع . لكنهم زادوه تخلفاً، حتى أصبح يضحك من كان في السابق يبكي خوفاً، عندما تقترب جحافل الفرسان من حدوده.

رغم البعد الجغرافي الذي ألتمسه عند التقاء ياسمين فإنني أشعر أنني قريب لدرجة لا يشعر بها حتى من يعيشون في بيت واحد جنباً إلى جنب. لم تكن يوماً المسافة الجغرافية تعني لي شيئا بالمقياس الحديث الذي نعيشه. بل أعتبر هذه حجة واهية تجوب العقول الفاقدة لروح المغامرة والغير جريئة في الحب.

إن فكرة احتقار الناس ليست إلا مرضاً خبيثا لا يقل عن أخبث الأمراض في هذا العصر- كالسرطان مثلاً. لا يعلم

الكثير أن عجلة الكون تدور من غير أن يستشعرها أحد ، فالقوة لك اليوم وغداً تنتقل لغيرك. هكذا العالم يدار الآن. فمن الخسارة أن تحتقر امرأة رجلاً يُكنُّ لها الاحترام والتقدير وجب أن ترفع الحصار عنه.

نظرتها له من بعيد كضربة الرصاص عندما تجتاح صدرك ولا تسمع صوتها.

الإشكالية ليست في المسافة بين الأقطار بل المسافة بين الأشخاص.

إنها ضرورية لكنها مؤلمة عندما تكون من أقرب الناس إلى قلبك. لقد ظلمتنا الجغرافيا عندما وضعتنا بعبث ولكننا كنا قاسين على أنفسنا اكثر منها ، فلقد صنعنا خرائط بداخلنا تؤدي إلى أنفاق مظلمة.تحتم عليّ أن أقرأ علم النفس حتى أفهم ما في الأعماق.

في لقطة مسائية كنت برفقة ياسمين وأصدقائها، فرغم غيرتي الكبيرة فقد أصررت على الحضور معها. إنها جلسة نقاش وطرح للأزمات التي تعصف بالعالم العربي. جلسنا حول طاولة مستديرة الشكل ، متلاصقين ببعض .فكل أحد من أصدقائها ينتمي لطائفة ، ولفلسفة أخرى لا تربط الآخر بشيء.

لقد تعجبت من هذه الجلسة حتى تذكرت الأيام الخوالي في زمن الوحدة الوطنيّة .

كم نحن بحاجة لها الآن ؟ لقد قاطعت حديثهم فجأة وقلت: اليوم أشعر أنً عالمنا العربي عابرٌ للقارات ويرافقنا أينما ذهبنا، إنّي اقترح أن يكتب كل منكم حرفاً يأتي في ذاكرته بشرط أن يكون اختيار أحدكم مختلفا عن الآخر .ثمّ نكوّن كلمة واحدة تكون مفتاح البداية في أيّ لقاء.

openkan.com

أرأيتم تلك المكتبة التي أمامكم مباشرة في هذا المقهى الثقافي المسائي .الكتب المصفوفة فيها ليست أفضل منا إذا عرفنا كيف نتجاور بدون أن نجرح الآخر ، ولا أن نستغل أخطاءه.

لقد أعجبتهم الفكرة كثيراً، وانتهى اللقاء الجميل من دون تشنجات ولا أحقاد في النفوس .

إن أصعب اختبار في الحياة هو أن تواجه النفس التي تميل دائما إلى الفهم السيء للأمور ، وإن أسهل شيء هو الصدام مع الطبيعة التي تستوجب التلاحم لاكتمال المعنى.

لم ارى يوماً حماراً في بيت أسود يقود الناس ويدعو للمساواة إلا وبجانبه هرم تتوسطه عين حتى لا تغيب الصغيرة والكبيرة عنه ولو كان أقرب أصدقائه !.

إنّ المآسي التي يصدرها رعاة البقر يومياً للعالم تتجاوز حدود الزمان والمكان لتعم كلّ الناس.

المأساة عندما يصبح الجائع اليوم باحث عن المجد غداً.

عندئذ يجب أن نترقب الكارثة على جميع المقاييس واختلال المجتمع. فمن جوعته قساوة الحياة سيأخذ بثأره عندما تصبح العصا في يده. وهذا ما أطلق عليه التدرج نحو الجحيم.

إن الحمار لم يكتفِ بنشر ذكائه بل حرَّك الجيوش وصحون الفضاء في اتجاه بقيّة الحُمُر التي تأكل ولا تزرع وتدعو للمواجهة بدون سلاح. لقد وضعنا اليد في اليد فإبتعدنا أكثر، وتوافقنا فاختلفنا أكثر ، فمن الخطأ أن نقول أن الحُمُر تعرف بعضها البعض، بل بالعكس تقول لي دائماً ياسمين: الحُمُر لها آذان طويلة ، تستوعب بكثرة لكنها تعجز على تغيير العقول مهما ابتدعت من أساليب جديدة.

لقد قررنا أن نفتتح معرضاً نسميه " معرض الدفاع عن حقوق الحيوان " لعلنا ننال جائزة نوبل لحفظ كرامة الحيوانات، فلم تبقى إلا هي ينقصها التنعم بالخيرات !

مقارعة الأمم تحتاج لأن تتحدث كثيرا في التلفاز وأن تتوعد بالرد على كل صاروخ يبلغ مداه الألف كيلو متر. تلك حال من يريد القضاء على الحضارة في مهدها، فخطر الاندثار يتهددنا ومازال حق الرد قائماً إلى اليوم .

حتى لا يفقد العالم سنتاً واحد من الأموال التي تصرف على نشر الديمقراطية. قرر عالم الإغراء والحب أن يمنح العشاق حرية السير في الطريق، وتنفس الهواء النقي دعماً منه للعلاج المجاني ! لأنهم يقولون أن المشي يريح الإنسان من الأشياء التي أثقلوا كاهله بها يومياً في سبيل عالم الثروة والاستثمار.

إن الحمار صاحب الثروة لم تعد تحركه الطاقة الذاتية، بل أصبحت تحركه الأرقام الكثيرة التي تسيل اللعاب بغير حساب.

إنّ زعيم القبيلة اليوم وجب أن يتحلى بصفات الأمس.إنّي أشعر بأنّ السراويل تنزل تحت الركبتين وصاحبنا لم ينزل بعد المصعد.نحن بحاجة لثأر الجاهليّة لكن بروح فكريّة تنبت ورقاً نكتب فيه ولا تنبت الأشواك.

إنَّ الأرض تحتاج أن نزرع فيها الأرز لا إن نزرع فيها الأفيون. إن لم تضع لنفسك مكانا في مجتمع المعلومات فإنّك ستصبح أنت المعلومة المتداولة! لا تستغرب من الحماقة، فالحماقة منهج علمي عند الكثير فما تراه حمقاً يمكن أن يكون كنزاً بالنسبة للآخر.

تلك هي حروب الحمير الذكية.

فهي لم تعد تنهق بل أصبحت تفكر عوضاً عنا، وتنتج لنا القمح والشعير مقابل الاستقرار والرخاء. كما أنّها تتكرم علينا بالتكنولوجيا لتحسين العلاقات العاطفية !

إن بلاداً تنجب الحمقى لا يمكن أن تصنع إنساناً مكافحاً بل تصنع إنساناً يتقلب بتقلب الظروف . يقدس المال ولا يقدس الفرد الذي يقدم ذاته يومياً لإضفاء قيمة على العمل. لقد أصبحت الأهداف الاستراتيجية بالنسبة للعالم الإنساني أهم من الحفاظ على بقاء الإنسان. أخشى أن يأتي يوم وينقرض فيه هذا المخلوق ؟! لكن يا ترى من سيحل محله ؟

❊ ❊ ❊

obeikan.com

الشتاء وقسوة الضمير

لعلي اراها واقفة أمامي لكنها تمضي بسرعة جنونية كأنها لا تبالي بمن يتابع خطواتها .أقول هذا لأننا قسونا على بعضنا البعض، لم يعد الإنسان يرضي ضميره بل أصبح يتشفى في الآخر، تلك أزمة عميقة حيث أصبح الواحد منا لا يكاد يعطي فرصة ثانية وكأننا أصبحنا مجرمين عندما طالبنا بالفرصة الثانية !

obeikan.com

أليس من العيب أن نخطئ! لكن من الخطأ أن نكّرر الأمر .لا يجب أن نقف هنا، بل على رحابة النفس والقدرة على استيعاب المواقف .سيدة زمانها ولكنها بكبريائها أفقدتني الشعور بالمكان والزمان وما يجري حولي !

بسرعة لا تكاد ترى و في لمح البصر، توارى الحلم وأغلقت الرسالة فلم أجرؤ على فتحها. لكني تجرأت على أن أفتح قلبي هذه المرة على نافذة العالم الرحب بكل آلامه ومآسيه لعلي أجد من يواسي في الحبّ كما يواسي في الموت .

الاثنان يشتركان في قهر الذات المسكينة وسكون الإحساس.خرجت ذات مرّة يحيط بها حرس المدينة لكنّ هذا لم يمنعني من القرب أكثر فأكثر .لكن بشخصيتي المقنَّعة والوجه الثاني .لست صاحب وجوه ولكن الحياة لا تعني

شيئا دون أن نلعب فيها أدورا كثيرة ونتقمّص شخصيّات متعدّدة.

إننا في مسرح مظلم ومتشابك يتمازج فيه الحبّ والكره من جهة، والمتعة والآلام من جهة أخرى .

الرصاص يحميها من كلّ المخاطر، لكنّ الخطر بداخلها .خطر الكبرياء الخالي من كلّ رفق بالطرف الآخر، والثقة العمياء دون إلمام بكافة التفاصيل المحيطة.يا ترى من سيشفق على الآخر ؟

هي أم أنا ... لم أشأ الإقتراب أكثر، فالرصاصة القادمة ستحسم الموقف ! أيّ موقف عندما تشتكي لمن سبب شرخا في قلبك النابض بالمحبّة والوفاء ، أيّ موقف عندما يخطر ببالك ما لا يخطر ببالها فلا نتجاوز عتبة النظر. ثم المضي قدماً في ركب الحياة.

إنّها في قفص قد وضعته لنفسها، لايمكن أن يضعها لها من لا يجيد النصيحة ويحسن إدراك الموقف . يجب أن نعي جيّدا مصيبة من حولنا. فمن عرف أنّ الذات كأسهم البورصة يوماً ترتفع وآخر تنخفض .

ليس هذا الأمر فقط، بل في لحظة قياسيّة فارقة ترتفع لتبلغ السماء أو تنخفض لتقع أمتاراً تحت الأرض. تلك هي مشاعرنا ببساطة عندما تصطدم بالواقع اليومي.

لعلّها لم تدرك أنّ الياسمين عندما يفوح كثيراً يفقد ندرته ومتعة اللحظة. أحيانا يجب أن نقبل الأشياء كما هي، لا أن ننتظر مفاجآت غريبة. فالغرابة كلّ الغرابة في أن نختزل الآخر في مفهوم المحب المنزه عن الأخطاء. لكن الحقيقة عمياء وقبيحة أحيانا فهي تظهر لنا ما لا نريده لكنها الحقيقة. أليست الحقيقة أدرى بنفسها ! ...

سحر العطر قد فاح من بعيد كأنه رياح شرقيّة قويّـة تعصـف باليابس الذي نشف منه طعم الحياة. ثقافة العيب جميلة عنـدنا وأشدّ الظلم عندما تفـوح الرائحـة ولا نسـتطيع أن نقـترب، فكأنّنا بصدد أحد يرغب ويرهب في نفس الوقت.

أعجبتني بتناقضاتها، لأنّ تناقضاتها تعـبر عـن أنثـى في أوجـه عنفوانها. بل في أوجه مشـاعرها الأنثويـة، في فـترة يمكـن أن نقول عنها أنّها العصر الذهبي للفتاة.

إنً فصل الشتاء شديد عليهـا لكنـه يضـفي جمـالاً حقيقيـاً في شخصيتها وهيئتها .لست من أصـحاب النظـرة الخارجيـة أو ممّن يحكم على الظاهر قبل الباطن .

كلا بل إنّي أردت أن أصوّر مـدى توافـق عنصرـ الـروح مـع عنصر الهيئة الخارجيّة . فعقل الأنثى قبل جسـدها في نظـري، وما يبهرني ذكاؤها الـذي يسـتطيع ترتيـب الأولويّـات، فـلا

أبالغ عندما أقول إنّ عقلها وجديتها في رسم حياة أفضل، تفوق ملايين الرجال الذين أصبحوا كأشجار متآكلة في فترة جفاف!.

الشتاء جميل والأنثى أجمل، فانسجام الإنسان مع الطبيعة يحقق التوازن النفسي الذي نشعر به وتشعر به أنت الآن عندما تقرأ وتتخيل المشهد بطريقتك .

شتاءٌ باردٌ وحبٌّ صعب المنال مع الصخب المحيط حولنا، فالناس تسيئ الظن قبل أن تفهم وتتكلم قبل أن تسمع ! شيء غريب .. لكن قلبها الدافئ أرغمني على نسيان الألم.

كم تعجبني عندما ترتدي ثياب الشتاء وتشعر بالبرد حيث تلتصق بي .هذا يشعرني بالمسؤولية الكبيرة على عاتقي في حمايتها فرغم كثرة الحرس حولنا ، إلا أنها تتصرف بعفويّة وتقدم الورود للعالم بأسره، رسالة سلام من ابنة الوزير:

"الرجاء الكف عن الحروب ،بدلاً من أن تزرعوا الكره، ازرعوا المحبة ، جربوا لن تندموا ولو مرة واحدة ! " .

قلت لها باستغراب: جميل، لكن السلام كلمة واسعة وتحوم حولها الكثير من الأحكام المسبقة. فقالت بكل ثقة وحماس : السلام هو الحبّ والعالم إذا فقد الحبّ فسيفقد تدريجيا السلام ليحل محله الصراعات والكوارث البشريّة !.

لقد تعاهدت أنا وهي أن نجعل الشتاء فصل السلام ورسالة لكل البشر بأنّ الدفء والهروب من البرد القاسي شبيه بسياسة اللجوء وتجنب الموت تحت حطام المباني! لقد فهم كثيرون الدرس ولكننا لم نفهم بعد أنَّ محبّتنا إذا تجسدت في الواقع؛ فإنها تخلق قوة كبيرة تدافع عن قيمنا الحضاريّة.

فحتى المصطلحات يتم العبث بها ليلاً نهاراً من أجل تطويقنا تطويقاً شاملاً . لا تستغرب فالمعركة معركة تغيير المفاهيم

حيث تتجلى في السيطرة على العقول قبل الأجساد والقلوب قبل الأفواه.

قالت لي : أريد أن أنثر الورود على قبور القوم حتى يعملوا من أجل المستقبل لا من أجل الماضي!. قلت لها : أنّ القوم تمسكوا بالنقش عليها ونسوا حكمة أصحابها في الحياة . فلو عادوا لزرعوا الأرض ثانية حتى تنبت مرة أخرى.

تلك الرغبة في القفز من مرحلة إلى أخرى لم يستطع أن يفهمها الكثير إلاّ بعد الخراب. لن تكون بالأمر السهل أمام أناس لا يعدون عدد ساعات يومهم.

لقد أخذوا منهم في غفلة، الورود الحمراء ومنحوهم الأشواك المتناثرة في كلّ الطرق. لقد أخذوا منهم العلم وزرعوا بغض العشيرة والعصبية القبلية.

لقد أصبح الشتاء همٌّ يجب إزالته عند الكثير، لكنه عندي وعند ياسمين ذات الإحساس الرقيق فصل الغرام، قوّة الروح وصراع البقاء مع الذات.

أقف أنا وهي أحياناً مع مساكين الحيّ الذي يلتفون حول نار أوقدوها لعلها تقيهم برد الشتاء العنيف. برد يمر على الجميع دون استثناء ودون تمييز بين فقير أو غني !

نريد ببساطة أن نشعر بما يشعرون ونواسيهم، فالحياة لا معنى لها بدون نزول من الأعلى للأسفل، فالوقوف دائماً في الأبراج الشاهقة لا يمنحنا رؤية جيدة وكذلك الأمر بالنسبة للآخرين فلن يستطيعوا رؤيتنا جيدا.

إنّي أحب أن أهديها دائماً باقة ورد حمراء لأنها تحبّ اللون الأحمر، فالورد يمنح طاقة إيجابية في الحياة ورغبة في الصعود إلى القمّة. إنّها تشعر بسعادة كبيرة تجعلها ترد عليّ بالرسائل

الواحدة تلو الأخرى، حتى تمتلئ الطاولة بالأوراق المبعثرة ولا أقدر على الاطلاع عليها جميعاً.

بالنسبة لي ردّة فعلها أهم من آلاف رسائل الشكر والتقدير التي ترسلها لي. فطريقة الردّ تكشف أن الطرف الآخر يبادلني نفس الشعور.

لقد كان هؤلاء المشردون المحيطون بالنار نموذج المثقفين الصغار في التكاتف على تحمل الصعوبات المشتركة. أنا مشرد مثلهم بمعيار الحبّ، فمن لا يستطيع النوم تفكير أو القلب الذي يدق بسرعة سيكون مشرداً ولو كان محاطاً بالدفء من كل جهة.

إن تعبيري عن حقي في الحياة نابع من الإرادة التي تسكن كل البسطاء من محبة الخير للآخر واحترام إختياره. لكن الحبّ

قدر جميل لا يأتي إلاّ لمن يقدّر قيمة الأنثى في ذاته قبل خروجه إلى الطريق العام.

أسير في الليل وحيداً لأنّ هواء الليل أنقى من النهار، ورائحة المطر أشمها من بعيد كأنني أعرفها من قبل.

يخطر ببالي ما تفعل ياسمين الأن ؟ هل أجول في خاطرها أم أنها تكتب في مذكراتها من حين إلى آخر. يعترضني في الطريق أناس لم تنصفهم قوانين البشر. عقولهم تخلو من كل أنواع الزيف والنفاق الاجتماعي.

لحسن حظهم لم يجربوا الحياة في كنف السمك وعصير البرتقال، لأنهم لو فعلوا لاختفت شخصيتهم الحقيقية لتنشأ

مكانها شخصيّة تؤمن بنفسها ولا يمكن أن ترى ما حولها إلاّ عند أول أزمة تعترضها.

تحدثت مع أحد المارة بالصدفة فقال لي : هل عندك قلم وورقة؟ أريد أن أنفس عن نفسي وأنسى التعاسة للأبد.

فقلت له والفرح يغمرني : لا تقلق يا صديقي، فلقد أصبت الطريق.

تمشيت قليلاً وإذا بعجوز يخرج من تحت غطاء ثقيل من الصوف، كأنه في فيلم سينمائي، وقال بأسلوب مضحك متعجباً : هل دخل العام الجديد ؟ قلت له : لا تقلق كثيراً، فالأعوام تشبه بعضها البعض !.

فضحك بشدّة وقال: لقد أصبحت الضحكة أحبّ إلى قلبي من السنين المتراكمة !

obeikan.com

كانت ياسمين قد كتبت أحلامها في مذكراتها اليومية، لقد كانت تقول لي دائماً : إنه شيء يشعر بالفخر عندما تقرأ كلّ صباح أحلامك من المذكرة ، حتّى تستطيع ترسيخها في الذهن، ثمّ يصدقها العقل ويعمل بها !

لقد أبهرتني الفكرة وقلت في نفسي : كيف غابت هذه الفكرة عنّي ؟!

لم يكشف البرد عن قسوة قلوبنا تجاه الناس بل كشف لنا وجه الإنسانية القبيح الذي يظهر التعاطف في الشدة ويهرب وقت الحسم .

كم أنت رائع أيها الشتاء لقد هزمت فرسان الحب ورواد الفكر الذي لم يتركوا منبراً إلا وصرخوا فيه نصرةً للفقراء والمساكين. لقد قتلوا فيهم روح الأمل من غير أن يشعروا.

أيّ أمل يا ترى ؟ أمل الاستفاقة على شمس الصباح ، أم أمل النهوض وجيبك تخترقه الثقوب من كل ناحية ؟!

لا عاطفة لمن لم يذق ولو قليلاً مما يذوقه يومياً الساهرون على أضواء المدينة حماية لاثنين يحبان بعضهما. فلربما مر أحدهم بقصة توقظ جرحه، والآخر قد يمر شريط حياته أمام عينيه لحبيبته التي دهستها السيارات السريعة التي لاترى العلامات إلا بعد تجاوزها !.

الرحمة في الشتاء تمنح على عكس الصيف عندما توزع بالملايين، عندما تكون أسيراً لمن تحب فأنت في سجن ،لكنه سجن مختلف جدرانه التضحية، الثبات، مواجهة العوائق.

في نفس الوقت الضوء مسلط على تلك الجدران لا عليك أنت، فهنا القيم تلعب دوراً كبيراً في الحبّ.

هـذه القـيم لـن تجـدها في غابـة يتسـاوى فيهـا الأسـد مـع السنجاب الصغير لكن الكرامة تغيب وتبقى حبراً على ورق.

لقد خان الشتاء أصحاب الجيوب الصغيرة ومن يخرجـون في ظلمات الليل ، لعهلـم ينسـون كـدمات النهـار التـي تجعـل الفرد يتوغل ككلب فرّ من قيد صاحبه. يقوم بحرث الأرض التي يلعب فيها أجيال المستقبل، لا يسـتطيع إيقافـه إلا إنـذار هاتفه أو صراخ الأعراف.

إنّ الأيام التي عبثت بصانع الأحلام والعيش الهنـيء جعلـت من الإنسان صاحب قلب صامد لا يبالي بما حوله من مبادئ. فالكلّ يغني أغنية " أنا صاحب مبـدأ " لكـن النـاس انقلبـوا على المبادئ. فباتت المبادئ تشـتكي مـن أصـحابها، للأنهـم لم يقدروا ما تستوجبه من تحدّيات.

إنّ معطفها يقيها من البرد لكنه لا يقيها من نظرة صديقاتها الذين يغارون منها. فابتسامتها تعادل ألف ابتسامة !.

إنّ الابتسامة علامة لا تفارقها منذ أن كانت صبيّة حسب ما تروي لي كل مرة ذكريات الماضي.

فتارة تعني المنتصر عندما يكسب الموقف ويشعر بالأحقية ، وتارة أخرى تعني إرباك من يعاديها من دون الحاجة لأن تدخل في مناوشة. فقد فضلت الحرب النفسية على الحرب المباشرة. إنها استراتيجية بطبعها في كل خطوة تخطوها.

يسعدني أن أجد من يحضنني في الشتاء حتى أكون محظوظاً مثل العشاق الآخرين.

مقاومة البرد في حد ذاتها تماثل مقاومة كلّ العوائق التي تحول بيننا وبين الحبيبة. فمن لم يتحمل غضبها نتيجة لظغط الحياة

المقرفة التي بات يعيشها الإنسان في ظل مجتمع العدالة الدولية، ولم يجد ألف عذر للصمت المتواصل الذي ينتابها من حين إلى آخر، لن يستطيع الصمود طويلاً فهذا من أشدّ الاختبارات التي تفتك بالقلب. وتجعلك أمام القرار المصيري الفاصل.

إمّا الرحيل أو أن تمسك بيدها! الأهم من ذلك عندما تخاف من الرجال فلا ألومها فالكثير يخدع النساء كما أن النساء تخدع الرجال فالصراع بين الجنسين ، يستمرّ في حالة التشنّج أو في حالة الهدوء.

حتى في حالة التصريح بالحب .. تحتاج لأن تخوض صراعاً طويلاً حتى تثبت جرأتك وصدقك في الكلام .

فعندما تخفي الحب في قلبك قد يفهمه الطرف الآخر تجاهلاً ويمضي بغير رجعة ومن دون إبداء أي أسباب.

تغيب عني ياسمين أحيانا فأشعر بذاتي ثقيلة علي وأفقد التركيز فأصبح كالجالس المرتجف من البرد.

شعور مخيف عندما يكون من أحبّ إليك من نفسك يقتله الغياب أو أخذه الزمن بعيداً عن أحضانك.

إنّ الشتاء يكره الجميع، لأنّهم يختبئون خوفاً منه ولا يستمتعون باللحظة التي تمنح لهم والجوّ الرومانسي- الذي يتمدّد في هذا الفصل.

إنَّ الشتاء جندي مجهول يدوس قلب من لا يعرف للحبّ طريق، ويمنح الحماسة للقلب الذي يدخل في المتاهة التي سيخرج منها إمّا منتصراً أو معلماً .

إنّ الحبّ في القلب غايته إسعاد النفس وهو نتيجة ومشوار طويل لا يأتي إلا بالإصرار. الإبداع في حضرة المرأة يعطيك

بعداً جديداً لحياتك ولما تريد التفكير فيه. إنَّ المرأة رغم أنَّ الكثير يعتبرها عاطفية بشكل مبالغ إلا أن استراتيجيات الحياة كلّها بيدها والتي يفتقدها الرجل في غالب الأحيان بحيث يندفع في العادة اندفاعاً دون طريق واضح، اندفاع المغامر المتهوّر الذي يبكي في الأخير.

إنّ رقة قلب ياسمين يجعل حياتي تأخذ منحى البساطة والجديّة في نفس الوقت.فالحياة بسيطة لكننا جعلناها معقدة بحساباتنا الكثيرة ، والنظرة المثالية التي تتملكنا بصورة عفويّة.

قطرات المطر تتراقص على نافذتها ، لتعلن عن يوم جديد من العمل ينتظرها، يوم هادئ، تقدّم فيه الرحمة والعفو عن الأعداء والسند والتعاطف للأصدقاء، يوم تُوزع فيه المحبّة. وتنطفئ فيه مصابيح الحقد التي تظهر في كلّ شارع. بل تنتشر

في كلّ منزل. لم يعد يجدي نفعاً الشتاء مع النفوس التي تبرد بشدّة. ففصل الحبّ يحتاج لحرارة في داخل الإنسان لتحرّكه حتى يستشعر الكثير من المعاني.

رحل الشتاء تاركاً وراءه أنفاس العاشقين تسير مع الهواء الذي تسمع صوته من قرع النوافذ.

لقد كان وداعاً من غير توديع وفراقاً من غير شفقة. لكن يبقى الأهمَّ أنه لقاء من غير موعد. هنا تتجلى روعة الإحساس بالحبِّ العفويّ والأزليّ. إنّ الحب يأتي فجأة ويذهب فجأة. هكذا هي الأشياء الجميلة في حياتنا.

لقد بقيت مقولة جدتها راسخة في الأذهان إذ تقول : الجميع يبحث عن الحبّ ، لكنّ الحبّ لا يبحث عن أحد.

❊ ❊ ❊

عند حلول شهر (يوليو) في يوم صيفيّ مشرق تغلب عليه الحرارة المرتفعة كان الهدوء يسود القرية حيث أنّ النّاس في مثل هذا الحرّ، يفضّلون البقاء في بيوتهم مستأنسين في غالبهم بما كسبته أيديهم من ثمرات التطوّر الإنساني.

أغلقت الكتاب الذي تقرأه وكان بعنوان " نهاية التاريخ ". كانت تمسك قلمها لأنها كانت تعد دراسة حول حاضني الإرهاب وهدم الحضارة بالتوافق مع ما يشهده الواقع المرير الذي تمر به الأقطار العربية على اختلاف مواقعها الجغرافية.

أحسَّت بغثيان مفاجئ، فأضحت ترى النافذة والطبيعة التي أمامها، تموج كموج البحار، ثم ازدادت حرارة جسمها بطريقة توحي وكأنها ستنفجر حتى سقطت على الأرض، وراح القلم في زاوية البيت المظلمة، وقرر أن يتوقّف هناك، كأنه يريد إعلامنا بأن دوره الذي يلعبه قد انتهى.

لقد انهارت حصونها من الداخل، وضاعت مملكتها التي كانت شامخة شموخ النسور عندما تجوب العالم كله دون أن يعترض أحد طريقها.

لقد كنت أنظر لنفسي كجنديّ في هذه المملكة، مدافعاً عن آخر القلاع التي لا توجد كثيراً في هذا العصر، ولم يجرفها تيار الواقع المبرمج، الذي أصبح يرتبه لنا من يريد أن يجعلنا دائماً تحت القيود بجميع أشكالها نصدّر البشر ولا نستورد الرخاء.

المهم عندهم أن يتم سحق الإنسان في إنسانيته، وأن يكون مثل الوحوش التي لا تعيش من دون ضوابط تنظّم العلاقة بينه وبين الكوكب الذي يعيش فيه.

لقد تفاجأت جدتها عندما رأتها ملقاة على الأرض، عيونها مفتوحة، لا تتحرك. لكنها لا تنطق بكلمة ولا تكاد تحرّك طرفاً واحداً، كأنّها متجمّدة بفعل الجليد.

حملتها مسرعة في السيّارة للمستشفى وقلبها قد تقطع ألماً، رغم أنّ الأسى في عين الجدّة ظاهراً لا محالة إلا أنّ طبعها الهادئ لم يفارقها.. فلو لم يكن لها قدرة على كتم الصراخ لعمّ صوتها كامل القرية.

أخذها الأطبّاء من الجدّة بسرعة فائقة .. وتفانٍ في العمل، وأدخلوها للفحص وللقيام بالإجراءات الضروريّة.

لكن حدث ما لم يكن في الحسبان بعد دقائق من إدخالها.

لقد تصبّب منّي العرق وكأنّ أحدهم قد صبّ عليّ قارورة ماء. لقد خرج الطّبيب فجأة.

لقد أومأت برأسي وقلت في داخلي محترقاً : لقد فهمت ملامح وجه الطّبيب الذي كان مصفراً، ويخرج وراءه مساعدوه والحيرة تغلب على ملامحهم جميعاً.

لعله يريد تبليغي بأنّ ياسمين رحلت. لكنّه أنزل رأسه قليلاً كأنه متحرّج من قول شيء ما.

وجاءت المفاجأة عندما قال بصوت خافت : لست في فيلم سينمائي، لكن لا أثر لياسمين . لقد اختفت ولم نجد أيّ أثر لها !

نزل الخبر عليّ كالصاعقة في يوم صعب وممطر، تجوّلت في ساحة المستشفى و في كلّ الأروقة، كالمجنون الذي يمشي من غير أن يحسب خطواته، باحثاً عن الجدة لعلي أجد عندها جواب رغم ثقل قدميّ . إلاّ أنّ الجدّة لا أثر لها أيضا.

أحسست أنّ الأرض تبتلع كلّ شيء . خشيت من أن تدفن أحلامنا وتغطى بالتراب بغير رجعة. لقد أصبح العالم يتغيّر بسرعة فائقة.

عدت أمام المستشفى ولكنّي متيّقن من أنّ ياسمين وجدّتها لم يطرأ لهما مكروه ، وإنّما خطر في بالي عندما تذكرت أنّها تتحرّج دائماً عندما أسألها عن أبويها ولماذا لم يأتيا لزيارتها. فتقول لي حتّى أملّ أنّ أباها منهمكٌ دائماً في مكتبه وفي زياراته الميدانيّة، وأمّها مسئولة عن فرع من منظمة لها فروع كثيرة في دول إفريقيّة وآسيويّة خاصّة ، حيث يزعجها هذا الأمر كثيراً لهذا السبب لا يستقرّون معها منذ فترة طويلة. لقد أصبحت الذاكرة تزوّدني بكلّ التساؤلات التي مرّت عليّ في لحظة لم أعطها أدنى اهتمام.

ربّما ستظهر وربّما لا .

لا يغدو الخيال إلاّ أن يكون حقيقة يوماً ما لكن عندما يتحوّل الواقع إلى ضرب من الخيال فأين المفرّ يا ترى ؟

❊ ❊ ❊

محمد جاب الله

من مواليد مدينة مدنين في الجنوب الشرقي التونسي- عام 1991.

متحصل على شهادة بكالوريا آداب ويدرس إجازة في اللغة العربية بمدينة تولوز الفرنسيّة .

صدرت له مقالات في مجالات متنوعة في عديد المجلات وفضاءات التعبير.

باحث في الكثير من المجالات ومشارك في مجموعات ثقافية من مهرجانات وندوات ..

"ياسمين في منعطف الطريق " هي روايته الأولى.

Mohamed Jaballah

obeikan.com

الإسكندرية ج . م . ع

(+2) 01018831361

(+2) 03/ 5765777

حسناء للنشر والتوزيع

opeikan.com